كلية الآداب

قسم اللغة العربية

الدراسات العليا

تمثيلات المثقف في السرد العربي المعاصر

من 1990 وحتى 2010

رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في النقد الأدبي الحديث

الباحث: فوزي عمر سالم الحداد

إشراف
أ.د/ صلاح فضل
د/ منـــى طلبـــة

العام الدراسي

2018 – 2017

الاهـــــــداء

إلى

والدِي :

الذي زرع في روحي الإيمان بالحقيقة

ولطالما حثني على امتلاكها

عليه رحمات الله ورضوانه

جامعة عين شمس
كلية الآداب

قسم اللغة العربية
الدراسات العليا

رسالة دكتوراه

مقدمة من الباحث: **فوزي عمر سالم الحداد**

عنوان الرسالة:

تمثيلات المثقف في السرد العربي المعاصر

من 1990 وحتى 2010

لجنة الإشراف

أ.د صلاح الدين فضل (الأستاذ المتفرغ بقسم اللغة العربية كلية الآداب جامعة عين شمس) **مشرفاً**

أ.د منى طلبة (الأستاذ بقسم اللغة العربية كلية الآداب جامعة عين شمس) **مشرفا مشاركا**

تاريخ البحث: / / 20 م

<u>الدراسات العليا</u>

أجيزت الرسالة بتاريخ: / / 20 م

ختم الإجازة

/ / 20 م

موافقة مجلس الكلية

/ / 20 م

موافقة مجلس الجامعة

/ / 20 م

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

رب اشرح لي صدري، ويسر لي أمري، واحلل عقدة من لساني، يفقهوا قولي، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير الخلق أجمعين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

تحظى الروايةُ العربية بوصفها نوعًا من الأنواع الأدبية التي شهدت ازدهارًا وتطورًا منذ منتصف القرن العشرين وحتى وقتنا هذا بشعبيةٍ كبيرةٍ لدى جمهورٍ عريضٍ من القرّاء؛ حيث تمكن هذا النوع الأدبي من استيعاب أنماطٍ كتابيةٍ عدّة منها المذكرات والوثائق والمنشورات الثورية والمدونات التاريخية، وغيرها من الأنماط التي تَنُدُّ عن الحصر، خاصةً في ظل المنجز الكبير الذي حققته الرواية العربية منذ بداياتها على يد هيكل وطه حسين وحتى مئات الأسماء والعناوين من الروايات والروائيين الذين يمتلئ بهم عالمنا العربي من محيطه إلى خليجه.

وقد تعددت الاتجاهات والأساليب والأنماط التي طوّرت الرواية العربية تمامًا كما منجز الرواية في العالم أجمع منذ منتصف القرن العشرين، وخطى روائيونا العرب خطوات بل قفزات هائلة جعلت الرواية العربية تقف في مكانةٍ متقدمة داخل المشهد الإبداعي البشري، رغم تأخر

ظهور الرواية العربية (بكونها نوعاً أدبياً مكتملاً) عن الرواية الغربية بما يزيد على قرنٍ من الزمان.

فالرواية العربية المعاصرة لم تعد في منجزها الحديث والمعاصر رهينة التوثيق التقليدي الذي وسَمَها في بداياتها الأولى؛ فقد تصدعت التجربة التقليدية التي واكبت نشأة هذه الرواية وتطورها، بفعل التحول الجذري الذي تحقق في منظور الروائيين وتحديداً فيما يتعلق بالمتخيل السردي الذي يشكلونه في نصوصهم، ونشوء حساسية تضع نفسها في تعارض مع القيم الفنية التي أفرزها المسار التقليدي للرواية، بحيث أصبحت الرواية إلى جانب وظائفها التخييلية والتمثيلية والإيحائية، أداةً لاستكشاف العالم والتاريخ والإنسان؛ حيث انطوت على قدرات خاصة إذ وضعت نفسها في خضم التوتر الثقافي والاجتماعي والسياسي بل والإنساني العام، ليصبح العالم بأجمعه موضوعاً من بين موضوعاتها، بل إنها في كثيرٍ من نماذجها أصبحت موضوعاً لنفسها، مضاهيةً بهذا التموضع المنجز الروائي الغربي، وربما مجاوزةً له أحيانًا، ربما لخصوصيتها بالنسبة لمجتمعها وقارئها العربي، إن لم يكن في هذا القول مغالاة أو مبالغة، وهو أمرٌ لا يخلو من تعصبٍ عروبي لكاتب هذه الأطروحة لا ينكره وإن كان يطمح إلى ترشيده ومنهجته.

وقد غدت الرواية عموماً والرواية العربية خصوصًا أكثر الأنواع الأدبية والفنية والإبداعية قدرةً على التشظي، في أشكالها وأساليبها وموضوعاتها ودلالاتها، وفي كونها قادرة على تفجير سيل مما سكتت عنه الأجناس الأدبية والفنية الأخرى، أو لم تستطع استيعابه ضمن أطرها

المحددة؛ حيث تمكنت هذه الرواية من تخطي حبسة التقليد التي لازمت نشأتها، وتجاوزت ذلك إلى آفاقٍ سرديةٍ جديدةٍ تتخطى مجرد نصوص شفافة تشكل حكايا وقصص، إلى الانشغال بعوالم أكثر رحابة وبتقنيات أكثر تعقيداً، تعكس الثقافة العميقة التي اكتسبها الروائيون العرب المعاصرون، الذين أدركوا الحاجات الجمالية المستجدة دون إغفالٍ لأثر التراث من ناحية، والمؤثرات الأجنبية من ناحية ثانية، في تعبير عن وعي فني متطور، وتجسيد فعلي لمفاهيم أدبية ونقدية جديدة تتصل بوظيفة الرواية، وصلتها بالواقع والمتلقي.

وقد اكتسبت شخصية المثقف تحديدا بعداً خاصاً داخل المنجز الروائي عموما والمنجز الروائي العربي على وجه الخصوص، فهي الشخصية التي يمكن تحميلها (سواءً حال كونها رئيسية أو ثانوية) بالعديد من رؤى المؤلف/ السارد ومواقفه وأفكاره وانتماءاته وإيديولوجيته، نظرًا لكونها الأقرب إلى المؤلف، فهي الشاهد الأمثل على حضور الطبقة الوسطى وصعودها إلى صدارة المجتمع، منذ بدايات الاستقلال وتكوّن الهوية الفكرية والسياسية والثقافية للمواطن العربي، بعد انقضاء عهد المستعمر ونشوء الكيانات السياسية وأنظمة الحكم المحلية بخلفياتها الدينية أو الإيديولوجية، والتي كان المثقف حاضراً فيها باستمرار إما مشاركاً وإما معارضاً، وإما صامتاً ناقماً، وفي أضعف الإيمان شاهداً ومراقباً.

ومن هنا تأتي أهمية هذه الدراسة التي تهدف في جانبها الناجز إلى التعرف على تمثيلات شخصية المثقف في الرواية العربية المعاصرة، من خلال عدد من النماذج الروائية المختارة. هذه التمثيلات التي تكشف

عن طبيعة حضور شخصية المثقف وحدودها وأنماطها وتنوعاتها ومساحاتها داخل العمل الروائي، وتعكس بالضرورة عن واقعٍ عربي عالجه الروائيون في منجزهم الإبداعي متشابكين ومتداخلين معه على تعدد صور هذا التشابك والتداخل وعلى خفوته أو جلائه كما سيتبدى لاحقاً في مباحث هذه الأطروحة.

وقد يثير عنوان هذه الدراسة بعض التساؤلات التأسيسية، وتحديدًا مصطلح "التمثيلات" وما يعنيه بدقة (منهجياً وإجرائياً)، وعلاقته أيضاً بشخص المثقف؟ ولعل الابتداء من الدلالة المعجمية للمفردة "تمثُّل" لتقدم مرتكزاً مفهومياً لاستخدام هذه المفردة اصطلاحيًا في سياق هذه الأطروحة؛ حيث يقول الفيروزآبادي: "المِثلُ، بالكسر والتحريك: الشَبَه.. والمَثَلُ: الحجَّة والحديث.. وتمثَّلَ: أنشدَ بيتًا ثم آخر ثم آخر.. وتمثّل بالشيء: ضربه مثلاً.. والتِّمثال: الصورة.. ومثَّلَهُ له تمثيلاً: صوّرَهُ له كأنه ينظرُ إليه"[1].

أما الدلالة الاصطلاحية للمفردة "تمثُّل" فهي ترجمة للكلمة الإنجليزية (representation) ذات الدلالات المتشعبة، والتي يحددها د. محمد عناني في تصديه لترجمة كتاب "المثقف والسلطة" لإدوارد سعيد، فيقول: "التمثيل: التصوير أو الرسم أو الرمز، وجمعها الصور، أي الصور التي تُرسَم للمثقف أو التي يرسمها لنفسه والمعنى الثاني للكلمة العربية نفسها (أي التمثيل) ما يمثله المثقف بمعنى ما يرمز له،أو من يمثلهم المثقف وينوب عنهم أو يتكلم باسمهم، وهذا المعنى قائم في الصفة

[1] الفيروزآبادي، القاموس المحيط - مؤسسة الرسالة، بيروت- ط2، 1987، ص 1364.

(representative) وهي التي إذا جمعت باعتبارها اسماً أصبحت تدل على "النواب"، أي الأشخاص الذين يمثلون غيرهم. وهناك معنى آخر نابع من هذه الدلالة، وهو الاحتجاج"[1].

وتحمل هذه المفردة أيضاً معنى آخر في رؤية د. عناني ليس بعيداً عن المعاني السابقة؛ حيث يحدد الدلالة أكثر فيقول: "وهو ما يقوله المثقف من وجهة نظره خلافاً لما يقول به الآخرون، خصوصًا إذا كانوا سلطة حاكمة أو من القوى التي تُسيِّر أو تتحكم في شؤون الدولة"[2].

فالمثقف الذي يقدم على الكتابة أو على مخاطبة الجمهور، ويشارك في "الحياة العامة" كما يسميها إدوارد سعيد، قد أصبح "يمثل غيره ممن لا يمثلهم أحد في دوائر السلطة.ويقع عليه، من ثم، عبء "تمثيل" العامة في مقاومة أشكال السلطة جميعاً، لا يدفعه إلا ما يؤمن به من قيم ومبادئ إنسانية عامة، لا حزبية ضيقة، أو فئوية متعصبة، أو مذهبية متجمدة، ومصراً على أن ينهض في هذا كله بدور الهاوي لا المحترف، أي الذي يصدر في أفعاله عن حب لما يفعل لا من يخدم غيره، أو يعبد "أرباباً" زائفة سرعان ما تخذل عبَّادها"[3]. وعلى هذا الأساس يمكن فهم المراد الذي تسعى هذه الدراسة للوصول إليه.

وبما أن التعامل مع دراسات كهذه يتم من خلال مستويين، أحدهما نظري والآخر تطبيقي، وكثيراً ما يجتمع هذان المستويان مع غلبة أحدهما

---

[1] إدوارد سعيد، المثقف والسلطة، ترجمة: محمد عناني ، رؤية للنشر والتوزيع ، ص7. (بتصرف)

[2] المرجع السابق نفسه، ص 7.

[3] المرجع السابق نفسه، ص 12.

على الآخر؛ فقد حاولت هذه الدراسة عدم الإغراق في الجانب التنظيري على حساب التركيز على متن النص وفضاءاته، أي أنها اهتمت أكثر في مباحثها على الإجراء التطبيقي وما يمكن أن يمنحه من تفسيرات وما يخلُصُ إليه من نتائج.

إنها رؤيةٌ تتوسل بتأسيسٍ منهجي لأستاذنا د. صلاح فضل في تعامله مع الأعمال الأدبية داخل الدراسات النقدية، التي تركز على الجانب التطبيقي أكثر من انشغالها بالمنهج وصرامته؛ حيث يقول في كتابه "سرديات القرن الجديد": "فالتطبيق لا يعني التنفيذ العملي لبرنامج تحليلي صارم بقدر ما يعني مقاربة العملية المنهجية التي تعصمه من أن يكون مجرّد انطباعات عابرة، فمنظومة القيمة المعرفية للمناهج من ناحية والقيمة الموضوعية لغايات الكتابة الإبداعية في تكريس الحرية والحق والجمال من ناحية أخرى، هي التي تحكم إجراءات التحليل الحر؛ لأن تجارب القراءة على تعددها وخصوبتها كفيلةٌ بتنمية كفاءة الناقد وتعميق خبراته الحياتية والجمالية بتراكمها ومنجزاتها"[1].

من هنا حدت هذه الأطروحة إلى التركيز على الجانب التطبيقي، دونما الإخلال بالانضباط المنهجي في منطلقاتها الإجرائية، وذلك من خلال الاستعانة بمنهجٍ ينسجم وطبيعة الأطروحة وموضوعها ومستهدفاتها؛ حيث تم المزج ما بين منهجين في التعامل مع النص الروائي، وهما منهج التحليل السردي، ومنهج تحليل الخطاب، وكلاهما يرتبط بالتحليل البنيوي في التعامل مع العمل الروائي. وذلك على أساس

[1] "سرديات القرن الجديد"- الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، 2015، ص 10.

التفريق الذي أقامه "توماتشفسكي" بين "المتن الحكائي" و"المبنى الحكائي".. "فالمتن الحكائي هو مجموع الأحداث المتصلة فيما بينها والتي تكوّن مادة أوليّةً للحكاية. أما المبنى الحكائي فهو خاص بنظام ظهور الأحداث في الحكي ذاته"[1].

وبالتالي فإن المتن الحكائي يرتبط بتحليل المضمون السردي، أما المبنى الحكائي فيرتبط بتحليل الخطاب السردي، وبما أن هذه الأطروحة ترتكز أكثر على تحليل المضمون وتطمح إلى مقاربة حضور شخصية المثقف وتمثيلاتها في الروايات العربية موضوع التحليل؛ فإنها تبنت الإجراءات المنهجية لتحليل المتن أو المضمون الحكائي في فصولها التطبيقية، مستعينةً بمقولات التحليل السردي في جانبٍ منها؛ حيث السارد وتموضعه، والزمن الفعلي وعلاقته بزمن الحدث، وكذا المكان بين الواقعي والروائي، وأيضاً الشخصيات وحضورها ومساحتها من السرد رئيسية كانت أو ثانوية.

هكذا اعتمدت الأطروحة تحديد الشخصية المثقفة في الأعمال الروائية وتصنيفها اعتماداً على مراحل خطة الدراسة، ومن ثم، تفسير هذه النماذج بالاستعانة بمقولات منهجي تحليل السرد وتحليل الخطاب، محاولةً من خلال هذا تتبع مختلف الظواهر السردية المتعلقة بحضور المثقف وتمثيلاته داخل المنجز الروائي العربي المعاصر.

[1] نقلا عن: حميد لحمداني "بنية النص السردي"- المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط 3، 2000، ص 21.

وقد لجأت الأطروحة في بعض أجزائها إلى قراءة النصوص الروائية المختارة قراءة ثقافية؛ حيث العناية بالسياقات الظاهرة وكذا المضمرة التي تكوّن السرد، سواءً كانت هذه السياقات ترتبط بالواقع السياسي العربي، أو البعد الإقليمي والجغرافي للحدث الروائي وتفصيلاته وأبطاله، أو المنطلقات الإيديولوجية التي تُحيلُ إليها منطوقات الشخصيات ومواقفها داخل الأعمال الروائية المختلفة. ولعل تبني بعض طروحات القراءة الثقافية أفاد هذه الأطروحة؛حيث ينفتح النص على آفاقه الثقافية وسياقاته الخارجية المؤثرة وأنساقه الداخلية المعلنة أو المضمرة، والتي ينطوي عليها الخطاب السردي بكل أنماطه وتجلياته.

إن هذه الدراسة ستحاول أن تنحاز إلى قراءة نقدية موضوعية واعية للأعمال الروائية المنتقاة، بمعنى أن تهتم بالتحليل الداخلي للنصوص، مع الاستعانة ببعض المعارف الخارجية التي تحيط بالنص والكاتب معاً دونما إفراط، مع ملاحظة أن اختلاف النصوص وتنوع بيئات إنتاجها وحضورها، يؤدي لاختلاف طرائق تحليلها، ولذا لم نلزم البحث بالخضوع الدقيق لمنهج معين لنمنح العمل الروائي فرصة دفعنا تجاه منهج أو مناهج تعيننا على فهمه وفتح مغاليقه من الناحيتين الشكلية والمضمونية.

ولعل اهتمام هذه الأطروحة بالرواية المعاصرة يأتي باعتبارها تتجاوز التقاليد الجمالية الراسية، متمرّدة على المنظومات الفكرية والإيديولوجية المألوفة، ومستندةً إلى مفاهيم جديدة وفلسفة فنية خاصة، ممايعكس إيجاباً على الشخوص وتحركاتها في المتن الروائي. والانتقاء

هنا أمر لامناص منه فيما يتعلق بالنماذج الروائية المختارة، أمام محدودية الصفحات واتساع جغرافية السرد العربي المعاصر، وهذه صعوبة معقدة حاولت الدراسة تجاوزها بقدر الإمكان.

ولهذا؛ فإن النصوص المنتقاة خضعت لقراءة متفحصة، بغية الكشف عن تمثيلات المثقف وحمولاته الفكرية والثقافية في المتخيل السردي؛ فالنصوص المختارة تم انتقاؤها بناءً على مجموعة معايير من أهمها النضج الفني وتوفر الشخصية المثقفة صاحبة الرؤيا، أو المتبنية لقضايا أو المتخذة لمواقف من السلطة والمجتمع، إضافة إلى صدور الرواية في الفترة الزمنية المحددة للبحث، مع توفر شرط قرب المسافة الزمنية بين زمن الكتابة وزمن الأحداث، فهذا الشرط في غاية الأهمية، خصوصاً عند رصد علاقات المثقف بالسلطات التي لا تزال حاكمة في المشهد الواقعي، كما أنه "يجعل الرواية مساهمة تخييلية مؤثرة وبالغة الدلالة والقوة، خاصة من خلال انخراط الكاتب في خضمها وكذلك القارئ الضمني"[1]. ويعود السبب في تحديد الفترة من عام 1990 وحتى عام 2010 إطاراً زمنياً للبحث، إلى أمرين، الأول يأتي استجابة لدواع منهجية يقتضيها البحث، بغية الإحاطة بجوانب الموضوع ليتاح الخروج بنتائج مرضية، والثاني يعود إلى ما شهدته هذه الفترة من نضجٍ فكري وفني في مستوى الفن الروائي المعاصر، وقد ترافق ذلك مع جملة من التحولات السياسية والاجتماعية والاقتصادية، التي حدثت خلال تلك الفترة وتركت آثارها الواضحة على الرواية.

[1] د. إدريس الخضراوي، الرواية العربية وأسئلة ما بعد الاستعمار، رؤية للنشر والتوزيع ، القاهرة ط1، 2012، ص 198.

أما الروايات التي بني عليها البحث فقد بلغت سبعَ عشرة رواية، هي:

1. شيكاجو، علاء الأسواني (مصر).
2. أمريكانلي، صنع الله إبراهيم (مصر).
3. سيرة آخر بني هلال، صالح السنوسي (ليبيا).
4. ثلاثية أحلام مستغانمي: ذاكرة الجسد– فوضى الحواس– عابر سرير (الجزائر).
5. القوس والفراشة، محمد الأشعري (المغرب).
6. المترجم الخائن، فوَّاز حداد (سوريا).
7. كرسي، ديمة سعد الله ونوس (سوريا).
8. حارس التبغ، علي بدر (العراق).
9. نباح– ترمي بشرر، عبده خال (السعودية).
10. الحمام لا يطير في بُريدة، يوسف المحيميد (السعودية).
11. رقص، معجب الزهراني (السعودية).
12. ارتطام لم يسمع له دوي، بثينة العيسى (الكويت).
13. التماثيل، عبدالله خليفة (البحرين).
14. مصحف أحمر، محمد الغربي عمران (اليمن).

وتأسيساً على ما سبق؛ فإن الدراسة قد توزعت على مقدمة وأربعة فصول وخاتمة، إذ تنفتح مباشرة على موضوعها (المثقف) في الفصل الأول؛ حيث سيتم تأطير مفهوم المثقف من خلال المصطلح ونشأته، وما صاحبه من إشكاليات لغوية ومعرفية، مروراً بنماذج المثقف، ثم النقد الموجه للمثقف سواء المتعلق بنقد الخطاب أو بنقد الفاعلية، وهذا سيقود للتعرف على دور المثقف وموقفه في رابع عناوين هذا الفصل.

أما الفصل الثاني؛ فقد خُصص لمسألة المثقف والسلطة، وهي مسألة شائكة وسيتم التعرض لها من خلال جدلية العلاقة بين المثقف والسلطة، ثم رصد تمثلات هذه العلاقة في شخصية المثقف السياسي، وهو المبحث الثاني في هذا الفصل، وسيتم معالجته من خلال النظر إلى شخصية المثقف في حالين، حاله وهو خارج نطاق السلطة، وحاله وهو داخلها وأحد أركانها. ولذا فقد احتوى هذا المبحث عنوانين مفتوحين للتطبيق على النماذج الروائية المختارة، فجاء العنوان الأول حول المثقف الإشكالي، بينما تضمن العنوان الثاني الشخصية الانتهازية من خلال حضورها السردي في عدد من النماذج الروائية المنتقاة.

وقد اختص الفصل الثالث بمواقف المثقف من قضايا المرأة من خلال التطبيق على النصوص الروائية المختارة، بينما ناقش الفصل الرابع قضايا الحرية والعدالة الاجتماعية، من خلال منظور الشخصية المثقفة.

وفي الخاتمة، تم رصد أهم ما توصلت إليه هذه الدراسة التي لا تدعي الكمال، فكل عمل بشري لا يخلو من العيوب والنقصان، وبخاصة أن موضوع المثقف ذاتاً وحضوراً، والسلطة كياناً وتأثيراً تظل موضوعات متسعة قابلة للجدل واحتمال وجهات نظر متعددة على الدوام.

وختاماً، أقدم أطيب الشكر وأجزله وأعمقه لأستاذي المشرف على هذه الدراسة الناقد الكبير الدكتور صلاح فضل، لما بذله من جهد مخلص ومتابعة دقيقة طوال سنوات العمل على هذه الدراسة، للحد الذي استوفت عنده غاية مقصدها، والشكر والتقدير موصول للدكتورة منى طلبة المشرف الثاني على هذه الدراسة؛ فقد كان لمتابعتها وتوجيهاتها الأثر الكبير في

وصول الدراسة إلى منتهاها، وكم أرجو أن يكون هذا العمل فاتحة لمزيد من الدراسات والأبحاث حول ما أثارته من قضايا أو ما توصلت إليه من استنتاجات. وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.